

البازار التركي بين الجيش والاسلاميين؛

هل تبدأ الحرب بمجازر تركية ضد الاكراد؟

طارق حمو*

العالم؟.

ألا يتناقض التجهيز الميداني (الذي يتراكم يوماً بعد يوم) مع هذه الخطوة «الديمقراطية» المخاتلة والمخادعة؟.

والحال، أن الحكومة التركية، وهي التي بدأت سباقاً في رفع لواء السلام (مؤتمر اسطنبول)، ودعت العرب، أو ساقتهم مكرهين محرجين، للانضمام تحته والتشاور لدرء أخطار الحرب وإيجاد مخرج ما لهذه الأزمة التي «ستتضرر من شرورها كل المنطقة»، وقد تؤثر على الوضع الجيو-سياسي للمنطقة» كانت تلعب على أكثر من خط، في سياق علاقتها الحساسة مع المنظومة العسكرية الحاكمة، فما هو قائد أركان الجيش التركي الجنرال حلمي أوزكوك يعلن عن موافقة المؤسسة العسكرية على استقدام الجنود الأمريكيين بقوله «أن فتح جبهة شمالية من تركيا سيقتصر أمد الحرب، ويقلل من الخسائر المتوقعة» وأنه «يؤيد دخول الجيش التركي للشمال العراقي لضبط الأوضاع ومساعدة اللاجئيين الكرد»، في إشارة واضحة وجديدة (في مكاشفة اعلامية صريحة) لدعوة البرلمان التركي على الموافقة في الجلسة القادمة على الطلب الأمريكي، بعد أن بدت الاشارات الأمريكية تنتقل للبت على قناة ثانية، ومن هي هذه القناة الجديدة المنافسة؟..... انها قناة الكرد العراقيين، الذين قالت بعض المصادر الأمريكية انها قد تستعيز بهم، مع خروج تركيا من البازار، في نشر قواتها في الشمال لفتح جبهتين على قوات نظام صدام حسين، مع كل ما تعنيه هذه الإشارة من مخاطر «جديدة» على تركيا ومصالحها ونوعية تحالفاتها الاستراتيجية، وبروز منافسين جدد يصنفون كأعداء وجود تركيا.

الأكرد العراقيون، الذين تشهد مناطقهم هذه الأيام مظاهرات حاشدة ضد التهديدات التركية الاستفزازية باجتياح كردستان، (والتي لم تستثر نخوة أي دولة عربية وكان الجنرالات الترك يتحدثون عن كوكب آخر). لا يبدون مرتاحين البتة للخطط الأمريكية الغامضة، وللاجندة الأمريكية التي تبرز خفاياها رويداً رويداً، (مثل الحديث عن تعيين حاكم امريكي على العراق لادارته لمدة انتقالية تحول امريكا بأنها ستكون مؤقتة، لحين عودة الهدوء والنظام)، تسلم القيادة بعدها لمجموعات المعارضة (وهو الأمر الذي عارضته المعارضة العراقية ورموزها الكردية والعربية والاسلامية).

الخطط الأمريكية مفتوحة على كل الاحتمالات، بما في ذلك السماح بدخول الأتراك الى كردستان، واطلاق يدهم في نحور الشعب الكردي، وأذا ما أعادت تركيا النظر في قرار برلمانها (وهو ما تؤكد المعلومات المتواترة من أنقرة، حول امكانية أن يغير بعض النواب قناعاتهم، بعد أوامر أوزكوك الأخيرة) فإن المنطقة الكردية، بما فيها كردستان تركيا، ستشهد حرباً عنيفة بدخول الجنود الأتراك الى كردستان لنزع سلاح القوات الكردية وتسليمه لعملائها في «الجبهة

الوطنية التركمانية»، وهو الأمر الذي اعتبره الأكراد خطأ أحمر دونه الموت، فهوشير زيباري، مسؤول العلاقات الخارجية في الحزب الديمقراطي الكردستاني قال في مؤتمر صلاح الدين معلقاً على التهديدات التركية «أن الأكراد لا يمكن أن يقبلوا بأي شكل من الأشكال دخول قوات اقليمية الى اقليم كردستان العراق، وأنهم في سبيل منع ذلك لن يدخروا أية وسيلة مقاومة». فيما اعتبر جلال الطالباني، زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني «أن الحديث عن نزع أسلحة البيشمركة، يعني الحديث عن نزع شرفهم»، حلمي أوزكوك وقبله رجب طيب أردوغان، حذر الأكراد من «استفزاز تركيا» بتصريحاتهم ومظاهراتهم التي أحرقوا فيها العلم التركي، غير ذات مرة، وكان أوزكوك أكثر بأساً حين تحدث من أن تركيا ستتدخل في اللحظة المناسبة لحماية أمنها القومي.

القيادات الكردية، أعلنت عن تشكيل قيادة مشتركة، لقيادة نضال الشعب الكردي في المرحلة القادمة، عقب التهديدات التركية، وتساعد لغة الحرب لدى جنرالات أنقرة، ووسائل اعلامهم بطريقة كبيرة، فيما تبدو انها حملة لاستنهاض الشعور القومي الطوراني الشعبي، وتوجيهه ضد أكراد العراق، (ساعة كتابة هذه السطور ذكرت وسائل الاعلام الكردية عن نبأ تعرض ممثلية الحزب الديمقراطي الكردستاني في أنقرة الى هجمات بالقتال الحارقة من قبل مجهولين).

الصف الكردي العراقي، يبدو متراصاً هذه المرة، ومن خلفه الصف الكردي العام، فالمظاهرات التي جابت المدن الأوروبية أجمعت على الدعم الكردي لأكراد العراق في وجه التهديدات التركية الخطيرة والجديدة هذه، وباستثناء الأحزاب الاسلامية الكردية في كردستان (حزب كومه لي اسلامي كردستان، والحركة الاسلامية، ومجموعة أنصار السلام المتهمه بالقيام بأعمال ارهابية) والتي لم تبد أي موقف رسمي تجاه التهديدات التركية (مما يثير أكثر من علامة استفهام) فإن الأحزاب والقوى الكردية العراقية مجمعة على رفض ومقاومة التدخل التركي في اقليم كردستان، بما في ذلك قطاعات واسعة من الشعب التركماني في الاقليم.

يبدو المشهد التركي- الكردي اذن، والحال هذه، من الجدية والخطورة الى درجة أن الأقليم الكردي دخل مرحلة التوحد والتعبئة الشاملة استعداداً لمقارعة الغزو التركي الآتي، فيما تقترب الضربة الأمريكية لنظام صدام حسين الذي يتابع سيره نحو الهاوية بعناد بعد رفضه لبادرة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة الأمل الوحيد لانقاذ الشعب والوطن العراقي من الدمار، تظل الانظمة العربية تدفن رأسها في الرمال تاركة العراق والشعب الكردي لمصيره الجهول أمام الغزو الأجنبي، بعد أن أقصت شعوبها من الحسين، وذلك بسحقها وتجويعها بحيث لم تعد تفكر سوى. بلقمة خبز يومها.

* صحافي كردي يقيم في المنيا

الأتراك (ممثلين ببرلمانبيهم وقوى الشارع الذي يرفض 97 منه المشاركة في الحرب الامريكية)، رفضوا الطلب الامريكي المتمثل بالسماح لأكثر من 63000 جندي امريكي بالانتشار على حدود العراق، تمهيداً لحرب امريكية محتملة ضد النظام العراقي، البرلمان التركي، وبنسبة جد ضئيلة قال لا لدخول العسكر الامريكي الى تركيا 264 صوت مقابل 250 وافقوا على الطلب، وبغض النظر عن هذا «الرفض»، الذي بدأ مهزولاً جداً (بنسبة أنجازه أولاً، وبالبيازارات الابتزازية التي سبقته، و.. أخيراً «بمشروع الاستئناف» المزمع تقديمه، يوم الثلاثاء القادم) فإن حجم وبدييات الثوابت البنائية للدولة التركية تنبئنا بأن وراء الأكمة ما وراءها، وان تلاطم التيارات المؤثرة داخل الأروقة السياسية التركية انما تدور وتتمحور حول رفع سقف العروض (من 8 مليار دولار) الى 25 أو... حتى 30 مليار دولار، والحصول على الضوء الأخضر الامريكي لاطلاق يد الجيش التركي في اقليم كردستان العراق، لتأديب الأكراد ولجمهم من الامتداد جنوباً نحو كركوك والمناطق الكردية في الموصل، ووضع اليد على آبار نفط كركوك، وتعيين الأقلية التركمانية كميليشيات حماية للمدينة، بعد نزع سلاح قوات البيشمركة الكردية، ولم يكن لرجب طيب أردوغان (الاسلامي دائماً) سوى أن يعلن عن احترامه وقبوله ل«ارادة الشعب التركي الديمقراطي» في رفضه الطلب الامريكي، وكانه ليس بالقاتل قبل مدة وجيزة: بضرورة أن لا تقف تركيا مكتوفة الأيدي متفرجة على المنطقة وهي تتغير، لتتمخض في النهاية عن دولة كردية «لايريدها أحد» (ومن من الدول الأربعة المقسمة لكردستان تريد دولة كردية تكون بمثابة النواة الأكيدة لدولة كردستان الكبرى)، لذا فعلى تركيا، وبما أنها لا تملك خياراً آخر أن تتدخل لحماية مصالحها الاستراتيجية والقومية العليا.

تصريحات أردوغان هذه، أعقبتها حملة اعلامية تركية تحريضية هائلة ضد القوى الكردية المسيطرة على منطقة كردستان العراق (وبالتحديد الحزب الديمقراطي الكردستاني، وزعيمه مسعود البرازاني) ورافقها عملياً زحف عسكري تركي الى الحدود العراقية- التركية يقدر بأكثر من 150 دبابة وتعداد يفوق الـ 20,000 جندي تركي في حالة تاهب قصوى. فما الذي حصل اذن، لتعلن تركيا (البرلمانية هذه المرة) عن عدم موافقتها لاستخدام القوات الامريكية، وهي التي تحتفظ - من حيث المبدأ - على أراضيها بقواعد امريكية كاملة في أنجريك وديار بكر وباتمان وغيرها (فيها أكثر من 2200.. طائرة مقاتلة) والبرلمان يمد فترة بقائها بانتظام وكل 6 اشهر؟، ما الذي حدث أو استجد الآن لتقوم بهذه الحركة المسرحية أمام